المتديّنون
في الجيش الإسرائيلي

أشرف بدر

دراسات عن إسرائيل

2

مدى الكرمل
Mada al-Carmel

كانون الثاني 2019

دراسات
عن إسرائيل

المتديّنون في الجيش الإسرائيلي

أشرف بدر

© جميع الحقوق محفوظة، 2019

مدى الكرمل

المركز العربي للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة

شارع الزيتون (أللنبي) 51 ص.ب 9132

حيفا 3109101

هاتف : 04-8552035 | ناسوخ : 04-8525973

www.mada-research.org

mada@mada-research.org

محرر مسؤول: مهند مصطفى
مسؤولة النشر: إيناس خطيب
مدقق لغوي: حنا الحاج
تصميم: ظافر شوربجي

دراسات عن إسرائيل

2 كانون الثاني 2019

المتديّنون
في الجيش الإسرائيلي

مقدّمة:

مع بداية تسعينيّات القرن العشرين، ازداد عدد الضبّاط المتديّنين (معتمري القبّعات الدينيّة) في الجيش الإسرائيليّ. أثارت هذه الظاهرة لدينا أسئلة عدّة، من ضمنها: ما هي الآثار الحاضرة والمستقبليّة لازدياد عدد المتديّنين في الجيش الإسرائيليّ؟ تنبثق من هذا السؤال أسئلة أخرى تدور حول حجم الظاهرة وأسبابها، وحول أسباب قلق القوى العلمانيّة الإسرائيليّة منها. ستحاول الورقة الإجابة عن هذه الأسئلة عبْر استخدام المنهج التاريخيّ التحليليّ؛ وعبر استعراض وتحليل الأدبيّات المنشورة حول هذا الموضوع. تكمن صعوبة البحث في مثل هذه الظاهرة في اعتبارين، أوّلهما: حسّاسيّة طرح هذا الموضوع من وجهة نظر قيادة المشروع الاستعماريّ الصهيونيّ، الحريصة على تذويب الفروق والتناقضات بين الشرائح المتصارعة داخل الكيان الاستعماريّ، ولذلك من الصعب الحصول على إحصائيّات رسميّة شاملة تبيّن حجم الظاهرة، وهذا يفّسر قلّة المصادر؛ فبحسب المسح الذي أَجْرته هذه الورقة للأدبيّات المنشورة، ليس ثمّة إحصائيّات أو دراسات حديثة حول الموضوع. الاعتبار الثاني: أنّ الأدبيّات العبريّة المتوافرة تستبطن إپستمولوجيا استعماريّة، وهذا يرغِم الباحث على التدقيق في خلفيّات وسياق هذه الأدبيّات.

الإطار المفاهيميّ:

يُقصَد بالمصطلح «المتديّنين» الذي تتناوله الورقة اليهودُ المتديّنون القوميّون الذين ينتمون إلى التيّار الصهيونيّ الدينيّ (الأرثوذكسيّة الصهيونيّة). وهنا تجب الإشارة إلى أنّ هذه الورقة لا تعالج مسألة انضمام الحريديّين (الحسيديّة واللتوانيّة) إلى الجيش؛ فالأفراد المنتمون إلى هذه الشريحة ما زالوا رافضين لفكرة الخدمة العسكريّة، كما أنّ الحاخامات البارزين في الحسيديّة واللتوانيّة يعارضون التجنُّد للجيش بحجّة أنّ الأولويّة هي لتطهير النفس بدراسة التوراة والعبادة،[1] وهنا مكمن الاختلاف

1. دروري، زئيف. (2005). **ما بين الإيمان والجيش: كتائب («ناحال») المتديّنة، مخاطر وفرص**. معهد فلوسهايمر. ص 37. مستقاة بتاريخ (15\04\2017). (بالعبريّة)

بين التيّار الحريديّ والمتديّنين القوميّين الذين لا تَعارُضَ فقهيًّا لديهم مع الانضمام إلى الجيش (بل على العكس من ذلك، يشجّع قادتها الأفراد على الالتحاق بالجيش والوصول إلى أعلى المراتب فيه)، بينما نجد المتديّنين من التيّار الحريديّ (الحسيديّة واللتوانيّة) يعارضون ذلك،[2] وهذا يفسّر الحديث الذي تتناوله أحيانًا وسائل الإعلام عن وجود صراع بين المتديّنين الحريديّين والعلمانيّين يدور حول مسألة عزوف الحريديّين عن الخدمة العسكريّة والتشارك المتساوي في حَمل العبء.

لتوضيح المصطلح «المتديّنين» الوارد في هذه الورقة، سنعود إلى ظهور الصهيونيّة الدينيّة، وجذورها التي تمتدّ إلى التيّار الأرثوذكسيّ، حيث ظهرت عدّة تيّارات دينيّة يهوديّة في العصر الحديث أبرزها الإصلاحيّة والمحافظة والأرثوذكسيّة. جوهر التيّار الإصلاحيّ، الذي نشأ في منتصف القرن التاسع عشر (كردّ فعل على الأرثوذكسيّة)، هو نزعُ القداسة عن كثير من المعتقَدات الدينيّة اليهوديّة ووضعُها في إطار تاريخيّ، بينما نشأ التيّار المحافظ في أواخر القرن التاسع عشر حلًّا وسطًا بين التيّارين الأرثوذكسيّ والإصلاحيّ. برز التيّار الأرثوذكسيّ في أوائل القرن التاسع عشر، ويشكّل المنتسبون إليه معْظمَ المتديّنين في إسرائيل.[3] التقى التيّار الأرثوذكسيّ مع الصهيونيّة (العلمانيّة) في فكرة الحفاظ على اليهود جماعةً منفصلة، وعدم الاندماج في المجتمعات الأوروبيّة، على اعتبار أنّ اليهوديّة هي دين وقوميّة. ينقسم التيّار الأرثوذكسيّ إلى ثلاثة أقسام: الحسيديّة ذات التوجّه الصوفيّ؛ اللتوانيّة (المعارِضة للحسيديّة)؛ الصهيونيّة. عارضت الأرثوذكسيّة الصهيونيّة الفكرة التي يؤمن بها الأرثوذكسيّون الحريديّون، والداعية إلى الاعتماد على «المسيح المنتظَر» كي يقود اليهودَ صوب فلسطين من أجل إقامة «مملكة إسرائيل»؛ فقد رأت الصهيونيّة الدينيّة أن هذا الاعتقاد منَعَ اليهود من اتّخاذ أيّ عمل سياسيّ يعيدهم إلى «أرض الميعاد». وقد استغلّت الصهيونيّة الدينيّة مَقولتين أساسيّتين يؤمن بهما عامّة اليهود، وجعلتهما دعامة فكريّة لمفاهيمها وهما: «الشعب المختار» وَ «أرض الميعاد»، ومن هنا تنبع قوّة الصهيونيّة الدينيّة كونها متوائمة مع جوهر المشروع الصهيونيّ المبنّي على «الشعب المختار» وَ «أرض الميعاد»؛ وذلك أنّ الصهيونيّة منذ نشأتها قرنت الاستعمار الاستيطانيّ بالدين والقوميّة، فاعتبرت أنّ اليهوديّة دين وقوميّة، ولذا حاولت الصهيونيّة في بداية قيام دولة إسرائيل اتّباع النهج العلمانيّ إلّا أنّ المبرّر الدينيّ لقيامها سيطر في النهاية.

---

2. على الرغم من معارضة الحريديّين للخدمة في الجيش، فإنّ الحاخام موشيه آرنستر سعى لتخفيف التوتّر مع القيادة الإسرائيليّة عام 1959 عبر تأسيس وحدة «ناحال» التي تضمّ المتديّنين من الحريديّين. اقتصرت الوَحدة في بدايتها على العمل في مجال الزراعة والصناعة بعد تلقّي تدريبات عسكريّة دون أن يكون لها دَوْر مؤثّر في الجيش، لكن بعد تصاعد احتجاج العلمانيّين على عدم التساوي في تحمل العبء تحوّلت وحدة «ناحال» عام 1999 إلى وَحدة قتاليّة ضمن الجيش. وحدة «ناحال» تتكوّن بصورة أساسيّة من المتديّنين. بحسب دراسة أُجريتْ على المنتسبين إليها، يعرّف 16% منهم أنفسهم بأنّهم حريديّون؛ وَ75% أنّهم متديّنون؛ وَ 8% أنّهم محافظون؛ وَ 1% أنّهم علمانيّون. كما أنّ 25% من المنتسبين ينحدرون من عائلات ليتوانيّة؛ وَ 9% من عائلات حسيديّة؛ وَ 19% من عائلات متديّنة تقليديّة؛ وَ 47% من عائلات متديّنة قوميّة (دروري، 2005، ص 82).

3. ياسين، نسيم؛ وعايش، سائد. (2006، شباط). **اليهوديّة الأرثوذكسيّة (دراسة وصفيّة)**. غزّة. ص 20.

لمحة تاريخيّة عن تطوُّر مكانة المتديّنين في الجيش الإسرائيليّ:

امتنع المتديّنون الحريديّون عن الانخراط في صفوف الجيش الإسرائيليّ مع بداية تأسيس دولة إسرائيل، متذرّعين بأسباب دينيّة تتعلّق بهُويّة دولة إسرائيل وعدم تطبيقها للشريعة التوراتيّة. جرى تقنين هذا «الامتناع» عَبْر اتّفاقيّة وُقّعت في حزيران عام 1947، بين الوكالةِ اليهوديّة (التي كان يرئسها آنذاك داڤيد بن چوريون) وحزبِ أجودات يسرائيل الذي كان يمثّل معظم المتديّنين. نصّت الاتّفاقيّة على عدم معارضة الحزب لقيام الدولة ومشاركته بمؤسّساتها، مقابل المحافظة على الطابع اليهوديّ من خلال اعتبار السبت يوم العطلة الرسميّ، وسَنّ قوانين للزواج تكون موافِقة للشريعة اليهوديّة، وأخذ الخطوات اللازمة للتأكّد أنّ مطابخ الدولة تقدّم الأكل الحلال («كاشير»)، بالإضافة إلى ضمان استقلال التعليم الدينيّ.[4] تضمّنت الاتّفاقيّة إعفاء المتديّنين الدارسين للتوراة من الخدمة العسكريّة تحت المسمّى «تَوْراتُهُ عملُهُ»، والمقصود به أنّ عمل المتديّنين الأساسيّ هو دراسة التوراة، ربّما كان الدافع الأساسّي لموافقة بِنْ چوريون على ذلك أنّ عدد المُعْفَيْن من الخدمة العسكريّة والذين ينطبق عليهم المسمّى «تَوْراتُهُ عملُهُ» لا يتجاوز 400 متديّن.[5] كان هنالك خشية حقيقيّة من قِبَل قيادات الصهيونيّة الدينيّة (الحاخامات) من انصهار الشبّان المتديّنين في أتون قيم الجيش العلمانيّة[6] الذي لا يحترم تعليمات التوراة بشأن الحفاظ على السبت والأكل الحلال («كاشير»). ذاك ما وضّحه الحاخام داڤيد رچنشبرچ في كتابه الصادر عام 1949 بعنوان «محاكمة الجيش في إسرائيل».[7] تخوُّف المتديّنين من الانصهار في الجيش يدفع إلى الاستنتاج أنّ الصهيونيّة الدينيّة لم تتحرّر من عقليّة «الچيتو» التي حكمتها لسنوات طويلة أثناء وجودها في أوروبا، وأنّه بعد أن كان «الچيتو» مصمَّمًا ضدّ الآخَر غير اليهوديّ بغية حماية اليهود من الذوَبان في المجتمع الأوروپيّ أصبح (أي «الچيتو») بعد قيام إسرائيل موجَّهًا نحو الآخَر اليهوديّ العلمانيّ، خشية من الذوبان في قيمِهِ ومعتقداته. مع مرور الوقت، برزت لدى القيادة الإسرائيليّة مشكلة تزايُد أعداد المتديّنين العازفين عن الخدمة العسكريّة بذريعة التفرّغ لدراسة التوراة. حُلّت المشكلة على نحوٍ جزئيّ عام 1965، وذلك عبْرَ التوصّل إلى تسوية بين حاخامات الصهيونيّة المتديّنة والجيش، بموجبها يجري الدمج بين التعليمِ العالي للتوراة والخدمةِ العسكريّة في الجيش في مدارس توراتية خاصّة تسمّى

---

4. الوكالة اليهوديّة. (1947، 19 حزيران). **اتّفاقيّة «الستاتوس كوو»** (وثيقة). الوكالة اليهوديّة. (بالعبريّة).
5. دروري، زئيف. مصدر سابق. ص 10.
6. حاولت الصهيونيّة، في بداية نشأة دولة إسرائيل، أن تصمّم الجيشَ ليصبح بوتقة صهر للإثنيّات والأفكار المختلفة والمتناقضة داخل المجتمع الإسرائيليّ.
7. كوهن، بُوعَز. (2012). فرض بالزيّ العسكريّ: الخدمة العسكريّة والجمهور الدينيّ القوميّ. **قراءات في نهضة إسرائيل** («عِيّونِيم بِتْكُوماتْ يسرائيل»)، العدد 22. ص 328. (بالعبريّة)

«يشيڤات هِسْدير»،[8] مقابل قيام الجيش بدمج المتجنّدين المتديّنين في وحدات متجانسة بعد سنتين من دراستهم، وتقليص مدّة خدمتهم العسكريّة إلى ستّة عشر شهرًا.[9] أسهمت في بلورة هذا الحلّ «الفتوى» التي أصدرها الأب الروحيّ للصهيونيّة الدينيّة الحاخام تْسْڤِي كوك، والتي تنصّ على أنّ الخدمة العسكريّة تُعتبَر بمثابة واجب دينيّ.[10]

طرأ تحوُّل فكريّ في أوساط الصهيونيّة المتديّنة عقب حرب العام 1967، حيث تغيّرت نظرة المتديّنين للجيش في أعقاب الحرب وما نتج عنها من احتلال لِما تبقّى من فلسطين، وبسبب استيلائه على حائط المبكى (حائط البُراق) وغيره من الأماكن المقدّسة الواردة في التوراة، فمعظم الأماكن الدينيّة المذكورة في التوراة تقع في الأراضي المحتلّة عام 1967. وقتذاك بدأت بعض الأوساط داخل التيّار الصهيونيّ المتديّن بتسمية الجيش باسْم «جيش الله»، ممّا أسهم في تعزيز التوجّه نحو خدمة المتديّنين في الجيش.[11] علاوة على ذلك، بدأت المدارس الدينيّة «يشيڤات مركْاز هَراڤ» (التي أسهمت إسهامًا كبيرًا في نشر الفكر الدينيّ القوميّ) بالتشديد على معنى النجاح كمؤشّر تاريخيّ على نجاح الصهيونيّة المتديّنة (النجاح في إقامة الدولة وحرب عام 1967)، بالإضافة إلى التركيز على الدور الخاصّ المَنوط بالصهيونيّة المتديّنة للسيطرة على الدولة (العلمانيّة) وتوجيهها بما يخدم الغاية النهائيّة (الخلاص).[12] وهكذا شهدت سبعينيّات القرن العشرين زيادة مطّردة في أعداد الضبّاط المتديّنين القادمين من «يشيڤات هَهِسْدير»، وذلك بفضل التحوّل الفكريّ الذي عايشته الصهيونيّة المتديّنة عقب حرب عام 1967.

سنحت الفرصة لخرّيجي «يشيڤات هَهِسْدِير» التغلغل في الجيش عقب حرب العام 1973، وخصوصًا في وحدة المدفعيّة التي تعرّضت لضربة قويّة أثناء الحرب، ممّا دفع قيادة الجيش للاستعانة بخرّيجي «يشيڤات هَهِسْدِير» لإعادة بناء الوحدة.[13] جوبهت محاولة المتديّنين من خرّيجي «يشيڤات هَهِسْدِير» التغلغل في المواقع المتقدّمة من الجيش بمعارضة قيادة الجيش العلمانيّة، حيث تظهر بعض الإحصائيّات أنّ 3-5% فقط من خرّيجي «يشيڤات هَهِسْدِير» قُبِلوا لدورة الضبّاط،

8. بداية نشأتها كانت عام 1953 بواسطة حركة هَمِزْراحي، تحت إطار يشِيڤات كيرِمْ يَڤناه ومركز يشِيڤوت بْني عكيڤا ويشِيڤات هَدَرُوم في رحوڤوت. ترأّس هذه الحركةَ الحاخام تْسْڤِي ملتسر؛ وكان الهدفَ من إنشائها تهيئة الشبّانَ المتديّنين حسب تعالَيم التوراة قبل الخدمة العسكريّة (كوهن. (2012). مصدر سابق. ص 330).
9. ب. (هكذا ورد في المصدر). (2010). مكانة معتمري القبّعات (الدينيّة) في القيادة التكتيكيّة للجيش الإسرائيليّ. معراخوت، عدد 432. ص 51. (بالعبريّة)
10. دروري. مصدر سابق. ص 12.
11. كوهن، ستيوارت. (2007). "القبّعة الدينيّة والقبّعة العسكريّة: عن هُويّات الجنود من الوسط الدينيّ القوميّ". لدى: موشيه، نَؤُور (محرر). **جيش وذاكرة وهُويّة قوميّة**. ماچنس. (بالعبريّة)
12. رخلڤسكي، سِيڤِي. (1998). حمار المسيح. **يديعوت أحرونوت**. (بالعبريّة)
13. دروري. مصدر سابق. ص 14.

بينما يشكّل ذوو الخلفيّة العلمانيّة 80-90% من المقبولين لدورة الضبّاط.[14] عمل المتديّنون عام 1988 بطريقة غير مباشرة من أجل التغلّب على هذا العائق ابتغاءَ اختراق شريحة الضبّاط، وذلك عبْر إنشاء كلّيّات عسكريّة تمهيديّة[15] تُعتبر بمثابة إطار تحضيريّ قبل الخدمة العسكريّة وينتسب لها طلّاب من مَشارب مختلفة (علمانيّون ومتديّنون)، تمتدّ مدّة الانتساب لهذه الكلّيّات إلى ثماني (8) سنوات، حيث يمنح الجيش طلّاب هذه الأكاديميّات إرجاءً للخدمة العسكريّة لمدّة عامَيْن من أجل التهيئة «الروحيّة» لأفراد الجيش، بحيث يتفرّغون خلالها للعلوم الدينيّة، وبعد انتهاء هذه الفترة يخدمون أربعة أعوام، في وحدات مختلطة يشاركهم فيها الجنود العلمانيّون، يرجعون بعدها للدراسة مرّة أخرى لمدّة سنتين.[16] يمكن الاستنتاج أنّ الصهيونيّة المتديّنة استطاعت من خلال هذه الكلّيّات ضرب عصفورَيْن بحجر واحد، فمن ناحية اخترقت شريحة الضبّاط من خلال كلّيّة مختلطة (تضمّ علمانيّين ومتديّنين) بحيث يصعب تصنيف خرّيجي الكلّيّة على التيّار الدينيّ، ومن جانب آخر حافظت على منتسبيها من الذوبان والتأثّر بالقيم العلمانيّة من خلال العودة للدراسة عقب انتهاء الخدمة العسكريّة لمدّة سنوات، وذلك لضمان إعادة «شحنهم» بالقيم الدينيّة.

مثَّلَ ظهور هذه الأكاديميّات نقطةَ تحوُّل فارقةً في عدد المتديّنين الذين يتجنّدون للوَحدات المختارة، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الحاخامات يشْرفون على إدارة «يشيڤات هَهِسْدِير» والكلّيّات العسكريّة التمهيديّة (الإطار التحضيريّ)، علاوة على أنّ مناهج التدريس تركّز على التوراة والتلمود والأدب التلموديّ. هذه الكلّيّات التمهيديّة، التي يقع نصفها تقريبًا في مستوطنات الضفّة الغربيّة، تؤهّل الشبّان لوظائف قياديّة في الجيش. تبلغ نسبة الطلبة الذين يتخرّجون من هذه الكلّيّات ويلتحقون بالوحدات القتاليّة نحو 85%، وكذلك إنّ 30% من هؤلاء الخرّيجين يصبحون ضبّاطًا في الجيش.[17] المفارقة هنا أنّ الذي شَرْعَنَ وجود الكلّيّات العسكريّة التمهيديّة هو الجنرال عِمْرام متْصْناع (قائد المنطقة الوسطى في الجيش آنذاك، ورئيس حزب العمل «العلمانيّ» عام 2002)، معلّلًا ذلك بحاجة الجيش إلى مقاتلين ذوي خلفيّة دينيّة يملكون دافعيّة القتال في ظلّ أزمة القيم التي كان المجتمع الإسرائيليّ يعيشها وقتئذٍ، وعزوف الشبّان العلمانيّين عن الخدمة العسكريّة.[18] يبرّر بعض العلمانيّين حرصهم على ضمّ خصومهم السياسيّين من المتديّنين للجيش بأنّه محاولة لدمج شريحة عريضة من المجتمع الإسرائيليّ لا يمكن تجاهلها في مؤسّسات الدولة. يمكننا الاستنتاج أنّ المعنى الاقتصاديّ للكلمة

---

14. كوهن. (2012). مصدر سابق. ص 337.
15. أوّل كلّيّة تمهيديّة أُنشئت في مستوطنة عيلي قرب رام الله بواسطة الحاخام إيلي سدان والحاخام يـﭼئال لينشتاين. فترة الانتساب لها تمتدّ 8 سنوات تُقسَم إلى سَنَتَيْ دراسة تتبعها أربع سنوات خدمة في الجيش، ومن ثَمَّ تكون العودة للدراسة مدّة سنتين.
16. سدان، إيلي. (2013). أبناء داڤيد عيلي. مستقاة بتاريخ (14\04\2017). (بالعبريّة)
17. پيري، يورام. (2007). النخبة العسكريّة الجديدة في إسرائيل: لماذا يُعتبر فهم النخبة العسكريّة أمرًا مهمًّا؟ قضايا إسرائيليّة، 27. رام الله: مدار. ص 58.
18. سدان. مصدر سابق.

«دمج» هو تحويل جمهور المتديّنين من شريحة طُفَيليّة تتغذّى على مساعدات الدولة إلى شريحة منتِجة وقوّة عاملة تندمج في سوق العمل بعد إنهائها للخدمة العسكريّة[19] لكن من ناحية أخرى، يمكننا الاستنتاج أنّ هذا الحرص على ضمّ المتديّنين للجيش (بذريعة امتلاكهم للدافعيّة) يُعتبر بمثابة اعتراف ضمنيّ بهزيمة المشروع الثقافيّ للصهيونيّة العلمانيّة، وقد يفسَّر على أنّه استخدام للدين من أجل ضمان استمراريّة المشروع الاستعماريّ كما حصل مع بداية الإعلان عن تأسيس الحركة الصهيونيّة. ضمن السياق نفسه، من الواجب ملاحظة حرص الحاخامات على إنشاء أوّل كلّيّة تمهيديّة في مستوطنة عيلي المقامة على الأراضي المحتلّة عام 1967، علاوة على أنّ أكثر من نصف هذه الكلّيّات قد أقيمت في مستوطنات الضفّة الغربيّة. من الصعب التخيّل أنّ هذا الأمر جاء بطريق المصادفة دون أن يكون مخطَّطًا له، وربّما يكون الهدف المستتر لهذا الأمر هو كسر الحسّاسيّة «النفسيّة» لدى جنود وضبّاط الجيش الإسرائيليّ تجاه المستوطَنات والمستوطِنين (بافتراض أنّ لهذه الحسّاسيّة وجودًا لدى البعض)، فالدراسة في المستوطنات لمدّة تزيد عن أربع سنوات تسهم في بلورة شعور بالانتماء إليها، واستبطان اعتبار المستوطنات والأراضي المحتلّة عام 1967 جزءًا من «الوطن» وَ «أرض الميعاد» التي يجب الدفاع عنها.

تدنّت نسبة الضبّاط المتديّنين في الفترة الواقعة بين العامين 1990 - 1992 مقارنة بنسبتهم العامّة في الجيش. والسبب يعود إلى أنّ المتديّنين انخرطوا في الجيش ضمن إطار «يشيڤات هَهِسْدِير» بالأساس. كما أنّ عدد المتديّنين المنضمّين إلى الوحدات العسكريّة المختلطة، التي تؤهّل الجنود للالتحاق بصفوف الضبّاط كان متدنّيًا جدًّا. في الفترة الواقعة بين العامَيْن 1993 - 2000، طرأ ارتفاع في نسبة الضبّاط المتديّنين في جيش المشاة، وذلك بسبب الكلّيّات التمهيديّة حيث زادت نسبة الضبّاط المتديّنين في وَحدات المشاة عن نسبة المتديّنين في الجيش بعامّة. في الفترة الواقعة بين العامين 2001 - 2008، حصل ارتفاع ملحوظ في نسبة الضبّاط المتديّنين في الوَحدات القتاليّة، حيث بلغت نسبتهم ضعفَيْ نسبة المتديّنين في الجيش عامّة. ثمّة عدّة أسباب لذلك، من ضمنها زيادة عدد الشبّان المتديّنين في الأطر التحضيريّة.[20] ينضاف إلى ذلك انطلاق انتفاضة الأقصى التي زادت من مخاوف المستوطنين المتديّنين على أمنهم الشخصيّ، فتوجّهوا للخدمة في الجيش، فضلًا عن أنّهم اعتبروا الانتفاضة بمثابة حرب دينيّة هدفها تصفية الكيان اليهوديّ وهُويّته. عبّر عن ذلك أحد حاخاماتهم بقوله: «هذا النزاع ليس نزاعًا سياسيًّا أو جغرافيًّا. إنّه نزاع دينيّ. تُواجِه إسرائيل خطر طمس هُويّتها».[21] لكن في فترة ما قبل الانسحاب أو الانفصال عن غزّة عام 2005، حصل

19. في هذا الشأن، يُمنح الجنود المتديّنون نحو 14,000 شيكل عند إنهاء خدمتهم العسكريّة؛ وذلك بدل شراء شقّة أو البدء في تأسيس عمل خاصّ. (دروري. مصدر سابق. ص 80.)
20. ب. مصدر سابق. ص 53.
21. بِنْ إليعيزر، أوري. (2016). **حروب إسرائيل الجديدة**. (ترجمة عيّاش سعيد). رام الله: مدار. ص 242.

هبوط في نسبة المتطوّعين للخدمة في الجيش من اتّباع التيّار الدينيّ القوميّ ليصبح 20% مقابل 40% في السنوات السابقة، وذلك مخافة أن يُرغَموا على تنفيذ إخلاء المستوطنات. وبعد سنة من الانفصال، سجّل نوع من أنواع التمرّد على الخدمة العسكريّة، فارتفعت نسبة المتديّنين الذين يطلبون إعفاءهم من التجنيد بذريعة التفرّغ لدراسة التوراة إلى 5%، لكن يبدو أنّ التيّار الدينيّ والقوميّ قد استخلص العبر ممّا حدث عقب إخلاء المستوطنات في سيناء عام 1982 (بعد توقيع اتّفاقيّة السلام مع مصر) ووضع خطّة للسيطرة على الجيش حتّى يضمن عدم تنفيذه أوامر الإخلاء، حيث بدأ المفدال بذلك منذ السبعينيّات وزاد نشاطه بعد الانسحاب من قِطاع غزّة بالتغلغل في مؤسّسات الدولة ضمن سياسة أُطلِق عليها «استيطان القلوب». يمكن استنتاج ذلك من ازدياد نسبة الجنود المتديّنين خرّيجي استكمال المشاة من 2.5% عام 1990 إلى 26% عام 2008،[22] وكذلك ازدياد نسبة الضبّاط المتديّنين في الفترة الواقعة بين العامين 1990-2010، والتي زادت 12 ضعفًا، حيث نجد أنّ 40% من الضبّاط رؤساء اللجان في الجيش هم متديّنون.

العوامل التي أسهمت في زيادة عدد المتديّنين في الجيش:

العامل الأساسيّ في زيادة عدد المتديّنين في الجيش هو حثّ المرجعيّات الدينيّة أتباعَها على الانخراط في الوحدات القتاليّة تحديدًا؛ وذلك أنّها تدرك أنّ السيطرة على المواقع القياديّة في الجيش تمنح هذا التيّار القدرة على التأثير في المجتمع،[23] إذ إنّ إفشال أيّ خطوة سياسيّة لن ينجح من خارج المؤسسة الحاكمة، بل من داخلها، بما أنّ مؤسّسة الجيش هي المؤسّسة الأكثر تأثيرًا في المجتمع العسكرتاريّ الإسرائيليّ، فقبل أيّ انسحاب من أراضٍ محتلّة أو إخلاء للمستوطنات يستعين المستوى السياسيّ برأي المستوى المهنيّ، وهو في هذه الحالة الجيش والقوى الأمنيّة. يضاف إلى ذلك أنّ معظم أفراد النخبة الحاكمة (نوّاب الكنيست؛ الوزراء؛ رؤساء الأحزاب) تخرّجوا من المؤسّسة العسكريّة؛ فالناخب الإسرائيليّ عند اختياره لممثّليه في الكنيست يولي الجانب الأمنيّ أهمّيّة بالغة، وهذا يفسّر حرص الأحزاب الإسرائيليّة المتنافسة على ضمّ الجنرالات المتقاعدين إلى صفوفها، كما يفسّر حرص بنيامين نتنياهو الدائم على الظهور بمظهر رجل الأمن الذي يتصدّى «للإرهاب» بقوّة.

ثمّة بضعة عوامل أخرى أسهمت في زيادة عدد المتديّنين في صفوف الجيش الإسرائيليّ، منها ما هو دينيّ متعلّق بالثقافة التوراتيّة، ومنها ما هو اقتصاديّ أو سياسيّ اجتماعيّ. هنالك علاقة جدليّة بين العوامل الثقافيّة الثيولوجيّة والعوامل الاقتصاديّة الاجتماعيّة، بحيث تتداخل في ما بينها ويغدو الفصل بينها صعبًا.

22. ب. مصدر سابق. ص 53.
23. پيري. مصدر سابق.

على الصعيد الثقافيّ، اعتبر الإسرائيليّون الجيش منذ تأسيسه «جيش الشعب»؛ فمن وجهة نظر معظمهم اعتُبِر رمزًا للهُويّة والتضامن في الدولة الجديدة، ووسيلةً لخلق اليهوديّ الجديد الفاعل المختلف عن يهوديّ «الشتات».[24] قامت فكرة «الشعب» في إسرائيل على «رباعيّ مقدّس» بدونه لا تصبح إسرائيليًّا كاملًا. يتألّف هذا الرباعيّ من العناصر أو المركّبات التالية: اليهوديّة؛ الذكورة؛ الخدمة العسكريّة؛ الانتماء إلى الجماعة.[25] عملت الصهيونيّة على تشكيل هُويّة الإسرائيليّ المختلف عن يهوديّ «الشتات»، والذي يؤمن بوجوب حلّ المشاكل بالقوّة وبأنّه يمتلك هذه القوّة. جرى تشكيل هذه الهُويّة التي يبدي فيها الفرد استعداده للعمل من أجل الجماعة، وهكذا تحوّل الجيش تدريجيًّا إلى أداة اختبار لقياس مستوى وطنيّة وولاء الفرد للدولة، وإلى تذكرة دخول غير رسميّة للنجاح في المجتمع.[26] يجب الأخذ بعين الاعتبار أنّ الصهيونيّة، بوصفها مشروعًا استعماريًّا استيطانيًّا، تعتمد على العنف لتحقيق مشروعها، كغيرها من المشاريع الاستعماريّة المشابهة؛ فهي تستخدم العنف بأشكاله المتعدّدة، بما في ذلك العنف البنيويّ والثقافيّ من أجل التخلّص من السكّان الأصليّين، سواء أكان ذاك عبْر إقصائهم أم عبْر محوهم ثقافيًّا وسياسيًّا، إذ يمتاز النظام الاستعماريّ الكولونياليّ باستعمال العنف من أجل «كيّ الوعي» بحيث لا يجرؤ المستعمَر على تحدّيه أو مقاومته.[27] في السياق نفسه، نجد أنّ الصهيونيّة المتديّنة ترى استخدام القوّة قيمةً في حدّ ذاتها، وبالتالي فإنّ الانخراط في الحياة العسكريّة يجسّد هذه القيمة، وقد أعطى انتصار إسرائيل في حرب العام 1967 دفعة كبيرة لمقولات الصهيونيّة الدينيّة، باقتراب الخلاص عبر «تحرير» الأماكن المقدّسة المذكورة في التوراة، ممّا دفعها إلى إطلاق مسمّى «جيش الله» على الجيش الإسرائيليّ وبالتالي كسر الحاجز «الأيديولوجيّ» بين المتديّنين والانخراط في الخدمة العسكريّة، حيث اعتبرت الصهيونيّة المتديّنة أنّ حرب العام 1967 عبارة عن حرب دينيّة يهوديّة، وأنّ النصر «الساحق» الذي حقّقته إسرائيل مَرَدُّهُ إلى الدعم الإلٰهي الجبّار، وأنّها محطّة وقوف في مسيرة الصدام بين العائدين إلى «صهيون» والعرب، وهي كذلك منتصف الطريق إلى الإنقاذ الكامل.[28] لكن على الرغم ممّا سبق ذكره، وبحسب بحث أجراه درور چرينبلوم عن الصهيونيّة المتديّنة في الفترة الواقعة بين العامين 1948-1967 بعنوان «من بطولة الروح إلى تقديس القوّة»، فإنّه منذ خمسينيّات وستّينيّات القرن العشرين ظهرت في أوساط الصهيونيّة الدينيّة مواقف مسيانيّة فعّالة مؤيّدة لاستخدام القوّة على نحوٍ ممنهَج، وأحيانًا بتجاهل الأسئلة الأخلاقيّة المرتبطة باستخدامها. حرب عام 1967 وحرب عام 1973 كانتا بمثابة المحرّك لبلورة

24. Almog, Oz. (2000). **The Sabra: The creation of the new Jew**. University of California Press. P. 3.

25. لومسكي-پيدر، عِدْناه؛ وَبِنْ آري، إيال. (2007). من الشعب في الزيّ الرسميّ إلى أزياء رسميّة مختلفة لشعب، الاحتراف والتنوّع في الجيش الإسرائيليّ. قضايا إسرائيليّة، 27. رام الله: مدار. ص 68.

26. بِنْ إليعيزر. مصدر سابق. ص 66.

27. روحانا، نديم. (2017). انتصار الصهيونيّة أو هزيمتها. **مجلّة الدراسات الفلسطينيّة**، 110. ص 15.

28. روبنشطاين، داني. (1983). **«چوش إيمونيم» الوجه الحقيقيّ للصهيونيّة**. (ترجمة السعدي غازي). عمّان: دار الجليل.

وتعميم وتذويت هذه المواقف، لا مَصْدرها. وفي هذا الصدد، يُبرِز الكاتب إسهام الحاخام شلومو جُورِن، أحد رموز الصهيونيّة الدينيّة، ومؤسّس الحاخاميّة العسكريّة والحاخام العسكريّ الأوّل، الذي شغل هذا المنصب لمدّة عشرين عامًا، في ترسيخ الإعجاب بالقوّة العسكريّة وإسباغ القدسيّة على حروب إسرائيل، مشيرًا إلى أنّ الحاخام المذكور لم يكتفِ بتحليل وتبرير استخدام القوّة، بل سبغه بالقدسيّة استنادًا إلى المقولة الإيمانيّة «القوّة هي تعبير عن الروح»، المقولة التي اعتُبِرت وَفْقها حروب إسرائيل واحتلال البلاد بمثابة عمليّات روحيّة ساميَة نابعة من إرادة السماء.[29]

أمّا على الصعيد الاقتصاديّ، فنجد أنّ التحوّل الأهمّ جاء بعد تبنّي الدولة للاقتصاد الحرّ بديلًا عن الاقتصاد المركزيّ عام 1985، وهو ما أسهم في صعود سياسات الهُويّة؛ فشريحتا المتديّنين والشرقيّين -بوصفهما الأكثر فقرًا- أصبحتا مهتمّتَيْن بالحصول على امتيازات خاصّة بهما، وخصوصًا بعدما فقدتا جزءًا منها نتيجة اللَّبْرَلة وتآكُل نظام «دولة الرفاه» الذي كان سائدًا في عهد حزب العمل «الاشتراكيّ». وبحسب سياسات الهُويّة، فإنّ الحديث يدور حول السعي للمصلحة الذاتيّة للفئات الاجتماعيّة، وهذا يفسّر توجُّه الناخبين نحو الأحزاب اليمينيّة الدينيّة التي توفّر لمنتسبيها خدمات اجتماعيّة ومخصّصات ماليّة. أدّى التحوّل الاقتصاديّ إلى التخلّي عن الروح الجماهيريّة (الجمعانيّة) التي ميّزت حكم مباي (العمل) لتحلّ محلّها الروحُ الفردانيّة بالترافق مع تفكيك سيطرة حزب مباي على مؤسّسات الدولة.[30] وهكذا نجد أنّ مؤسّسة الجيش التي تحظى باحترام المجتمع الإسرائيليّ أصبحت بمثابة ممرّ إجباريّ للصهيونيّين المتديّنين، من أجل الترقّي في السلّم الاجتماعيّ من جهة، ولضمان التأثير في المجتمع والسياسات العامّة من جهة أخرى؛ فكثير من الوظائف التي يُعلَن عنها بواسطة الشركات الخاصّة تشترط إنهاء الخدمة العسكريّة، وهذا بدَوْره حوّل الخدمة العسكريّة إلى وسيلة من أجل ضمان وظيفة جيّدة، علاوة على أنّ معظم النخبة السياسيّة المؤثّرة قادمة من المؤسّسة العسكريّة على اعتبار أنّ معظمهم ضبّاط متقاعدون، وبالتالي فإنّ ذلك يُفضي إلى زيادة تأثير المتديّنين في صنع القرار. علاوة على ذلك، نجد أنّ انتشار روح الفردانيّة المرتبط بالحداثة قلّل من دافعيّة الشبّان الإسرائيليّين العلمانيّين للخدمة في الجيش، وزاد من توجُّههم إلى سوق العمل من أجل بناء مستقبلهم الاقتصاديّ، ممّا ترك فراغًا سدّه المتديّنون الذين تُحرّكهم الروح الجمعانيّة والاستعداد للتضحية بأرواحهم من أجل المجموع، ويملكون دافعًا قويًّا تُحرِّكه الأيديولوجيا للخدمة العسكريّة بالإضافة إلى السعي للسيطرة على الدولة من خلال الجيش، علاوة على أنّ الفكر العنصريّ بطبيعته معادٍ للفرديّة، فالجماعة مقدَّمة على الفرد، والفرد

29. لاندسمان، كارولينا. (2017، 5 نيسان). ما هو سرّ قوّة الصهيونيّة الدينيّة؟ هآرتس. مستقاة بتاريخ (2017\04\10). (بالعبريّة)
30. پرسيكو، تومر. (2014). خصخصة الدين وتقديس الأمّة: انهيار الجماعيّة الصهيونيّة وتاريخه. أقدموت ميلين، 30. مستقاة بتاريخ (2016\11\06). (بالعبريّة)

مكرَّس للجماعة ولا يحصل على قيمة إلّا من خلال انتمائه إليها.[31] من ناحية أخرى، نجد أنّ فكرة «الخلاص» التي تنادي بها الصهيونيّة الدينيّة قائمة على الخلاص الجماعيّ (لا على الخلاص الفرديّ كما هو موجود في بعض الديانات -كالمسيحيّة على سبيل المثال)، ومن هنا نلمس مدى تأثير فكرة الخلاص على دافعيّة الصهيونيّين المتديّنين للخدمة في الجيش. نجد ذلك بوضوح في ما يدّعيه الحاخام أڤراهام يتسحاق كوك (الأب الروحيّ للصهيونيّة المتديّنة) من حيث إنّ معظم اليهود في الصفّ الدينيّ القوميّ، ودولة إسرائيل اليوم، هما عاملان مركزيّان في عمليّة الخلاص التي طال انتظارها، وإنّ من شأن هذين العاملَيْن أن يؤدّيا إلى عودة اليهود جميعهم إلى أرض إسرائيل وتوسُّع الحكم اليهوديّ وبسطه على أرض الميعاد كلّها وإعادة فرض سيادة «الهَلاخاه» (الشريعة التوراتيّة) وإعادة بناء الهيكل في القدس وظهور المسيح.[32]

على الصعيد السياسيّ، لم يكن «الانقلاب» الانتخابيّ عام 1977 لِيَحْدث لولا تضافر عدّة عوامل اجتماعيّة وسياسيّة، على رأسها «التمرّد» الانتخابيّ لليهود الشرقيّي الأصول («السفراديّين») ضدّ هيمنة حزب العمل ذي الأصول الغربيّة «الإشكنازيّة»؛ فالسفرديّون عانَوْا من التهميش المستمرّ من طرف حكومات حزب العمل «الإشكنازيّ». إلى ذلك يضاف العامل السياسيّ المتمثّل في استغلال الليكود مجريات حرب عام 1973، تلك الحرب التي صُنّفت إسرائيليًّا على أنّها فشل استخباراتيّ ذريع («مَحدال»)، ابتغاءَ التحريض على حكومة حزب العمل بأنّها غير قادرة على توفير الأمن؛ فقد أدّت حرب عام 1973 إلى انهيار الثقة بقيادة الحركة الصهيونيّة التاريخيّة ممثَّلة بحزب مپاي («حزب العمل» -الاشتراكيّ)، وترافق ذلك مع انهيار المفاهيم العسكريّة التي سادت عقب حرب عام 1967، والتي ادّعى فيها القادة الإسرائيليّون أنّ العرب لن يتجرّأوا على خوض حرب أخرى. أسهمت حرب العام 1973 في تصاعد مخاوف بعض الإسرائيليّين (لا سيّما شريحة المستوطنين) على مستقبلهم، وذلك بعد الحديث عن مفاوضات لعَقْد اتّفاقيّة سلام مع مصر، قد تتضمّن الانسحاب من الأراضي التي احتُلّت عام 1967 وإخلاء المستوطنات التي فيها. أسهَمَ الجدل الإسرائيليّ حول الفشل الأمنيّ عام 1973 في تعزيز ادّعاء الصهيونيّة المتديّنة أنّ الابتعاد عن التوراة هو سبب الهزيمة، وأنّ النصر لا يتحقّق إلّا بالتمسّك بتعاليم التوراة. وهكذا توجّهت قِطاعات الشبّان المتديّنين إلى الخدمة العسكريّة بغية حماية «أرض الميعاد» من أعدائها العرب، على اعتبار أنّ العلمانيّين فشلوا في هذا الأمر. وهكذا نجد نوعًا من الارتداد إلى التديّن بالعودة إلى «الأصالة» والقيم اليهوديّة الصهيونيّة (في تجسيد لسياسات الهُويّة)، كحلّ للأزمة التي مرّ بها المجتمع الإسرائيليّ عقب حرب عام 1973. ينضاف إلى تأثيرات حرب عام 1973 إلقاءُ ياسر عرفات رئيس منظّمة التحرير الفلسطينيّة («م.ت.ف»)

31. تودوروف، تزفيتان. (1998). **نحن والآخرون**. (ترجمة حمّود ربى). دمشق: دار المدى.
32. لوستيك س.، إيان. (1991). **الأصوليّة اليهوديّة في إسرائيل: من أجل الأرض والربّ**. (ترجمة حسني زينة). بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة.

لخطابه في الأمم المتّحدة عام 1974، ذاك الخطاب الذي يعني ضمنًا الاعتراف الدوليّ بالكيانيّة الفلسطينيّة. أسهَمَ خطاب عرفات في تصاعد مخاوف بعض الشرائح الإسرائيليّة على مستقبل دولة «إسرائيل»، وازدادت هذه المخاوف حدّة عقب توقيع اتّفاقَيْ أوسلو ووادي عربة اللذين بموجبهما اعتُرِف بالكيانيّة الفلسطينيّة (وإنْ على نحوٍ ضمنيّ)، وبسيادة الأردنّ على شرقيّ النهر، ممّا أسهم إسهامًا مباشرًا في صعود سياسات الهُويّة وفي تعزيز مكانة اليمين وتقبُّل خطابه السياسيّ لدى الجمهور الإسرائيليّ؛ فقد رأى اليمين الدينيّ ومؤيّدوه أنّ «عمليّة السلام» تُمثِّلُ تهديدًا لإسرائيل وَ«أرض الميعاد» وسيادتها وهُويّتها الجماعيّة.

على صعيد آخر، أسهمت عمليّات المقاوَمة (التفجيريّة) أثناء انتفاضة الأقصى عام 2000 في تأجيج مشاعر الغضب والكراهية لدى شرائح واسعة في المجتمع الإسرائيليّ، كما اعتبر أنصار اليمين المظاهرات التي خرجت في البلدات العربيّة احتجاجًا على قمع الاحتلال (هبّة أكتوبر عام 2000) بمثابة دليل على أنّ فلسطينيّي 48 ليسوا مواطنين، وإنّما هم خطر على هُويّة الدولة. شكّلت الانتفاضة فرصة لليمين الدينيّ من أجل الترويج لوجهة نظره بشأن أهمّيّة الانغلاق والتميُّز اليهوديّ، وبشأن أنّ عمليّة السلام عبارة عن وهْم يتّخذه الفلسطينيّون أداة لتدمير «إسرائيل». وهكذا تحوّلت سياسة الهُويّات من الداخل إلى الخارج. لم يقتصر الأمر على ذلك، بل امتدّ ليصل إلى ادّعاء قيادات المستوطنين وحاخاماتهم أنّ انتفاضة الأقصى تُعتبر بمثابة حرب دينيّة يشنّها العرب ابتغاء تصفية الدولة اليهوديّة. هذا الادّعاء يبرهن تأثير سياسة الهُويّات في الحروب التي تشنّها «إسرائيل».[33] علاوة على ذلك، شكّل الانسحاب (الانفصال) من مستوطنات قِطاع غزّة وبعض مستوطنات الضفّة عام 2005 صدمةً لقِطاع كبير من المجتمع الإسرائيليّ، وبخاصّة لمجتمع المستوطنين، حيث تَمَلّك المستوطنين الخوفُ وعدمُ اليقين بشأن مستقبلهم الشخصيّ ومستقبل الاستيطان بصورة عامّة. أمّا على صعيد باقي المجتمع، فقد انهارت دعاوى التيّار الدينيّ الوطنيّ حول أرض «إسرائيل» التاريخيّة (أرض الميعاد)، كما أسهَمَ الانفصال عن غزّة في انهيار ثقة المستوطنين بزعامتهم المتمثّلة بمجلس مستوطنات الضفّة الغربيّة وقِطاع غزّة «يِيشَع» كونه فشل في وقف الانسحاب، وقد قاد ذلك إلى ظهور شريحة من المستوطنين الشباب غير الراضين عن أداء «يِيشَع» الهادئ والمسالم، الذي تماهى مع توجهات الحكومة بالإخلاء. ظهر ذلك على نحوٍ واضح أثناء إخلاء مستوطنة «عمونة» الواقعة في الضفّة الغربيّة عام 2006، حيث لوحظ وجود أعداد كبيرة من المستوطنين الشباب فاقدي الثقة بقيادة الكهول في «يِيشَع»، يقاومون الإخلاء بطريقة عنيفة، وهو ما أوقع إصابات عدّة في صفوفهم وصفوف الجنود المشْرفين على الإخلاء.[34]

33. بِنْ إليعيزر. مصدر سابق. ص 241.

34. شيلچ، يئير. (2007). المعنى السياسيّ والاجتماعيّ لإخلاء المستوطنات في الضفّة وغزّة. **بحث سياسات** («مَحَكار مْدِينِيُّوت»)، 72. القدس: المعهد الإسرائيليّ للديمقراطيّة. ص 78. (بالعبريّة)

تَسبَّب الانسحاب من قِطاع غزّة في تآكل المنظومتين الكولونياليّة الاستعماريّة والمسيانيّة الخلاصيّة[35] التي ترى في السيطرة على أرض فلسطين مقدّمة لظهور المسيح المخلّص، فأسهم الانسحاب من قِطاع غزّة في انهيار فكرة «إسرائيل الكبرى» التي قامت عليها الصهيونيّة، ومن هنا سعت الصهيونيّة الدينيّة إلى تعريف الصهيونيّة من جديد، عَبْر تأسيس علاقات قوّة جديدة بين الدولة من جهة، والأفراد والمجتمع المدنيّ والحركات السياسيّة من جهة أخرى، في سبيل ترسيخ «الحقّ التاريخيّ للشعب اليهوديّ» في أرض «إسرائيل». المفهوم الذي تتبنّاه الصهيونيّة الدينيّة للعلاقات مختلف عن المفهوم الليبراليّ الذي يزيد من قوّة المجتمع على حساب الدولة، أو المفهوم الاشتراكيّ الذي ينادي بخضوع المجتمع المدنيّ للدولة، حيث ترى الصهيونيّة الدينيّة أنّ الهُويّة القوميّة أعلى من المجتمع والدولة، وأنّ كِلا هذين الأخيرين يجب أن يخضعا للهُويّة القوميّة. والحديث هنا لا يدور عن فاشيّة تريد التفرّد بإدارة الدولة، بل عن فكر يرى أنّ مؤسّسات الدولة الاجتماعيّة والسياسيّة يجب أن تتحرّك تحت مظلّة الهُويّة القوميّة.[36] يضاف إلى ذلك أنّ الانسحاب من مستوطنات قِطاع غزّة تَسَبَّبَ في حصول شرخ بين دولة «إسرائيل» والصهيونيّة الدينيّة، وقد أسهَمَ في ذلك ادّعاءُ التيّار الدينيّ الوطنيّ وجود مؤامرة يقودها الصهيونيّون «الليبراليّون» العلمانيّون هدفها تقويض الصهيونيّة الدينيّة. نظريّة المؤامرة هذه حَدَتْ بالتيّار الدينيّ الوطنيّ إلى مراجعة حساباته والتفكير مجدَّدًا في طبيعة الاتّفاقات التي أُبرِمت في بداية تأسيس الدولة كاتّفاقيّة الوضع الراهن.[37]

علاوة على ما سبق ذكره، يمكننا الاستنتاج أنّ الاعتراف بالكيانيّة الفلسطينيّة (وإنْ على نحوٍ رمزيّ)، وكذلك انتفاضة الأقصى وما تبعها من انسحاب (انفصال) عن قِطاع غزّة، قد أسهما في تعزيز قناعات الصهيونيّة الدينيّة بأنّ الطريقة المثلى للتأثير في صنع القرار ومنع أيّ إخلاءات مستقبليّة للمستوطنات هي بالانضمام إلى الجيش.

أسباب قلق القوى العلمانيّة:

هنالك خشية حقيقيّة في صفوف العلمانيّين من تعاظُم دَوْر المتديّنين في المجتمع الإسرائيليّ، عبّر عنها الرئيس السابق للموساد إفْرايِم هَليڤي بقوله: «التهديد الحقيقيّ على إسرائيل يأتي من برنامج ومعتقدات المتديّنين «الحريديّين» لا من برنامج إيران النوويّ».[38] على الرغم من ذلك، نجد ترحيبًا من قيادة الجيش بانضمام ضبّاط وجنود ذوي خلفيّة دينيّة بحجّة تمتُّعهم بدافعيّة عالية للقتال

35. اليهوديّة المسيانيّة هي حركة تعود جذورها إلى الإنجيليّة البروتستانتيّة التي تؤكّد على العنصر «اليهوديّ» في الإيمان المسيحيّ، ويتكوّن أتباعها من اليهود المؤمنين بالمسيح المنتظر الذي يخرج في آخِر الزمان.

36. روزنبرج، دانيئيل. (2011). عن الصهيونيّة الجديدة. نظريّة ونقد («تِئُورْيا وبِكُورِت»)، 38-39. القدس: معهد ڤان لير. ص 305. مستقاة بتاريخ (2016\10\11). (بالعبريّة)

37. شيلچ. مصدر سابق. ص 80.

38. موشيه داڤيد، أحيقام. (2011، 4 تشرين الثاني). التطرّف الحريديّ أشدّ خطورة من إيران. nrg. مستقاة بتاريخ (2017\04\15). (بالعبريّة)

(أساسها الاعتقاد بأنّهم يخوضون حربًا دينيّة ضدّ العرب والفلسطينيّين من أجل الحفاظ على «أرض الميعاد»)، بينما يفتقر الشبّان الإسرائيليّون القادمون من الأوساط العلمانيّة إلى الدافعيّة من أجل الخدمة العسكريّة. ازدياد نسبة الضبّاط المتديّنين في الجيش الإسرائيليّ دفع بعض الإسرائيليّين إلى القول إنّ الجيش الإسرائيليّ لا يمرّ بعمليّة تديين فحسب، بل تجري ثَقْرَطَته (من «الثيوقراطيّة» -أي السلطة الدينيّة) عبر تغلغل على نحوٍ تدريجيّ في سلطات الجيش الدينيّة المدنيّة، في محاولة منها للهيمنة عليه في أكثر من مستوى،[39] من خلال تغيير نظام المحفّزات العسكريّة الذي كان منحازًا للطبقة الوسطى العلمانيّة، ومحاولة ثَقْرَطَته وتعريف مهامّه تعريفًا دينيًّا حتّى يضمن الجيش انضمام المتديّنين إلى الوحدات القتاليّة،[40] وفي الإمكان ملاحظة ذلك في التنشئة الدينيّة للجنود علاوة على موافقة قيادة الجيش على تغيير صيغة أداء القسَم للمتديّنين لتصبح «أنا أعلن» بدلًا من «أنا أقسم» التي يردّدها الجنود العلمانيّون، وذلك مراعاةً لالتزام الجنديّ المتديّن بدينه وربّه الذي لا يقسم إلّا له وحده بالولاء لا لقوانين الدولة الوضعيّة.[41] كذلك ظهر هذا جليًّا في حرب الرصاص المصبوب عام 2008 عبْر عَقْد اجتماعات بين الحاخامات العسكريّين والجنود المقاتلين من أجل «شحنهم» معنويًّا، وينضاف إلى ذلك بروز الصبغة الدينيّة للاحتفالات والطقوس التي يقيمها الجيش.[42] وربّما يَصْلح اعتبار توجيهات عوفر ڤينتر (قائد وحدة چڤعاتي لمقاتلي الوحدة أثناء حرب الجرف الصامد عام 2014) مؤشّرًا واضحًا لتديين الجيش؛ ففي تعليماته المكتوبة للجنود قُبَيْل المعركة يقول: «التاريخ اختار لنا أن نكون في طليعة مقاتلة العدو الإرهابّي الغزّاوي، الذي تجرّأ على التجديف وتدنيس اسم إلٰه إسرائيل {...} أَنظرُ إلى السماء وأدعو معكم: اسمع إسرائيل، إلٰهنا الواحد. يا إلٰه إسرائيل وفِّقنا في دربنا، فنحن ذاهبون للحرب من أجل شعبك {...} شعب إسرائيل ضدّ عدوّ يدنّس اسمك».[43] من وجهة نظر العلمانيّين، المشكلة في دعوة قائد چڤعاتي لشنّ حرب دينيّة تكمن في تغيير مَهَمّة الجيش، من حماية أرض إسرائيل إلى معاقبة من يدنّسون اسم الله؛ ففي الدول الديمقراطيّة ذات المرجعيّة المدنيّة ليس من مَهَمّة الجيش معاقَبةُ مَن يدنّسون اسم الله.[44]

خشية القوى العلمانيّة في المجتمع الإسرائيليّ من الضبّاط المتديّنين تنبع من كونهم استبدلوا تعريف الخدمة العسكريّة على أنّها واجب مدنيّ بتعريفها على أنّها واجب دينيّ، وبالتالي أصبح هنالك شكّ في ولائهم للدولة والمؤسّسة السياسيّة الحاكمة. عبّر عن قلق العلمانيّين من هذا الأمر الجنرالُ شلومو چازيت (الرئيس الأسبق لشعبة الاستخبارات العسكريّة) بقوله: «الجنود المتديّنون يذكّرونني

39. ليڤي، ياعيل. (2015). **القائد الإلٰهيّ: تديين الجيش الإسرائيليّ**. تل أبيب: عام عوڤيد. ص 12. (بالعبريّة)
40. المصدر السابق. ص 20.
41. المصدر السابق. ص 28.
42. كرمنيتسر، مردخاي. (2014، 14 أيلول). **جيش الشعب أم جيش الله؟** (ورقة موقف). القدس: المعهد الإسرائيليّ للديمقراطيّة. مستقاة بتاريخ (2017\04\12). (بالعبريّة)
43. عوفر، يوحاي. (2014، 11 تمّوز). قائد لواء في چڤعاتي لجنوده: التاريخ اختارنا. **nrg**. مستقاة بتاريخ (2017\04\12). (بالعبريّة)
44. كرمنيتسر. مصدر سابق.

بالولاء المزدوج للضبّاط في الجيش النازيّ».[45] السؤال المطروح داخل إسرائيل: عند المحكّ، أوامرَ من سينفّذ الضبّاط المتديّنون؟ هل سيُطيعون أوامرَ ضبّاطهم الأعلى رتبة والمستوى السياسيّ، أم أوامرَ الحاخامات والمرجعيّات الدينيّة؟ وإذا صدر أمر يخالف معتقداتهم الدينيّة (كإخلاء مستوطنة -على سبيل المثال)، فهل سيمتثلون للأوامر؟ فالصهيونيّة المتديّنة تقوم على فكرة «أرض إسرائيل الكاملة»، حيث لا تنازُلَ ولا انسحابَ ولا تخلِّيَ عن طريق الإيمان بضرورة استيطان جميع أرجاء أرض إسرائيل، وحقُّ اليهود في هذه البلاد ليس خاضعًا لقوانين الشعوب، بل هو حقّ حصلوا عليه من الله ومن التوراة، وإذا كانت قوانين الدولة لا تتّفق مع أوامر الله، فإنّ الواجب يدعو إلى عدم الانصياع لها؛ وذلك أنّ الاستيطان في المناطق المحتلّة هو هدف أسمى، فهو يجري تنفيذًا لإرادة الله لا للقانون الإسرائيليّ.[46] مثل هذا التوجّه نجده في المدرسة العسكريّة الداخليّة التي يديرها الحاخام حاييم دروكمان (عضو كنيست سابق وأحد زعماء المستوطنين)، حيث يجري تحريض الجنود على رفض الأوامر العسكريّة التي تنصّ على إخلاء المستوطنات.[47] وجدتْ هذه «الفتاوى» صداها في وحدة «كفير» العسكريّة عام 2009، عندما رفع الجنود المنتمون للوحدة أثناء أدائهم القسَم لافتة تنصّ على رفضهم إخلاء المستوطنات، وتَكَرّر المشهد ثانية عام 2011 أثناء تخريج دفعة جديدة من جنود وحدة چولاني؛ فبعد أدائهم القسم أظهروا عبارة كتبت على قمصانهم تقول: «چولاني يحارب الأعداء ولا يطرد اليهود».[48]

علاوة على ما سبق، هنالك تخوُّف من جانب القوى العلمانيّة أن يقوم الضبّاط المتديّنون بفرض التعاليم الدينيّة الأرثوذكسيّة على زملائهم في الجيش (على سبيل المثال: منع خدمة النساء في الجيش)، باعتبارها خطوة تمهيديّة من أجل فرضها على المجتمع ككلّ، ولا سيّما أنّ الشبّان المنتسبين للجيش لا يملكون القدرة (بسبب قلّة معرفتهم) على نقد أو رفض الأفكار التي تُوجَّه إليهم، فهم مدرَّبون على تلقّي الأوامر دون نقاش، وبالتالي يستغلّ الضبّاط المتديّنون السطوة العسكريّة من أجل فرض رؤيتهم للحياة وحسم الصراع الهُويّاتيّ المسْتَعِر بين العلمانيّين والمتديّنين، بمعنى حسم الخلاف بين العلمانيّين والمتديّنين على تعريف الدولة ديمقراطيّة أم يهوديّة بقوّة السلاح.

قامت إسرائيل (ككيان استعماريّ استيطانيّ) منذ نشأتها على التمييز العرقيّ، فكلّ استعمار هو - بشكل من الأشكال - عمليّة تمييز عرْقيّ.[49] وبالتالي، كان من الطبيعيّ مع صعود الصهيونيّة الدينيّة أن يُهَيْمِن التوجُّه الفاشيّ، وهذا لا يعني أنّ التوجُّه الفاشيّ في إسرائيل جديد، فهي منذ نشأتها ككيان استعماريّ مارست الفاشيّة، وإنّما الجديد هو هيمنة التوجّه الفاشيّ وسيطرته على مفاصل

45. شيلچ. مصدر سابق. ص 90.
46. الزرو، صلاح. (1990). **المتديّنون في المجتمع الإسرائيليّ**. الخليل: رابطة الجامعيّين. ص 399.
47. بنْ إليعيزر. مصدر سابق. ص. 151.
48. أتَالي، عَميحاي. (2011، 23 حزيران). الاحتجاج ضدّ إخلاء المستوطنات - في چولاني أيضًا. **nrg**. مستقاة بتاريخ (12\04\2017). (بالعبريّة)
49. ميمي، ألبير. (1980). **صورة المستعمِر والمستعمَر**. (ترجمة شاهين جيروم). بيروت: دار الحقيقة. ص 90.

دولة إسرائيل، وهذا منبع الخطورة من وجهة نظر العلمانيّين الإسرائيليّين. عن ذلك عبّر الجنرال يائير چولان بقوله إنّ إسرائيل اليوم تعاني من ظهور علامات شبيهة بألمانيا عام 1930 مهّدت لظهور النازيّة.[50] فالفاشيّة لم تكن مشكلة عندما كانت موجَّهة نحو الآخر (العربيّ والفلسطينيّ)، لكنّها تحوّلت إلى معضلة عندما توجّهت نحو الداخل وأصبح التيّار الدينيّ الصهيونيّ يمارسها ضدّ خصومه من العلمانيّين. يعرّف تولياتي الفاشيّة بأنّها: «أيديولوجيّة انتقائيّة تجريبيّة تتمحور حول عنصر التعصّب القوميّ أو الدينيّ أو الطائفيّ. هذه الأيديولوجيّة ذات العناصر غير المنسجمة المتغيّرة من بلد إلى آخر هي الأداة الضروريّة لجمع تيّارات مختلفة في الصراع في سبيل فرض الديكتاتوريّة والإرهاب على الجماهير الكادحة بالاستناد إلى حركة جماهيريّة واسعة».[51] ينطبق هذا التعريف إلى مدى بعيد على الصهيونيّة المتديّنة التي تؤمن بممارسة القوّة والتعصّب القوميّ الذي تنطوي عليه نظريّة التفوّق العرقيّ.

الآثار الحاضرة والمستقبليّة لازدياد عدد المتديّنين في الجيش الإسرائيليّ:

يُتوقَّع، مع تزايد المتديّنين في الجيش، أن يغلَّب خيار الحرب في التعامل مع الفلسطينيّين والعرب، فالحرب تُعتبر من وجهة نظر الفاشيّة مدرسة تتعلّم فيها النخَب -ومعها سائر فئات الشعب- دروسًا في البطولة، وهي من أهمّ العوامل التي تعطي الفرد إحساسًا قويًّا بالانتماء والذوبان ضمن المجموع. وكما أسلفنا، فإنّ الصهيونيّة -كغيرها من المشاريع الاستعماريّة المشابهة- تعتمد على العنف لتحقيق مشروعها. ضمن السياق نفسه، من الصعب التصوّر أنّه في ظلّ هيمنة المتديّنين الذين يؤمنون بـ «أرض الميعاد» سيُتوصَّل إلى اتّفاق سياسيّ تحت مظلّة «حلّ الدولتَيْن» يُنهي الصراع الفلسطينيّ الإسرائيليّ؛ فالصهيونيّة المتديّنة تعتقد بحرمة التنازل عن أيّ بقعة في أرض فلسطين مَهْما كان المبرّر، وهذا واضح في «فتوى» حاخام دولة إسرائيل يتسحاق نيسيم التي نصّت على حرمة الانسحاب أو إعادة ذرّة أرض واحدة تسيطر عليها إسرائيل،[52] وبالتالي من المتوقّع أن تعرقَل الجهود التي يمكن أن تُبذَل للوصول إلى تسوية سلميّة تحت ذريعة أنّ الانسحاب من الضفّة الغربيّة يعرّض أمن إسرائيل للخطر. توصّل المتديّنون إلى استخلاصات تفيد بأنّهم يستطيعون السيطرة على القرار السياسيّ من خلال الجيش، وذلك بسبب طبيعة المجتمع الإسرائيليّ العسكرتاريّة والتي يتحكّم الجانب العسكريّ فيه بالقرارات السياسيّة. قد يكون من أبرز المؤشّرات على ذلك ما أظهرته الوثائق التي نشرها أرشيف الجيش بمناسبة مرور 50 عامًا على حرب 1967، وعلى وجه التحديد شهادة رئيس الاستخبارات العسكريّة آنذاك، الجنرال أهارون يعاري، الذي صرّح بأنّه أقنع قادة

50. Jerusalem Post. (2016, May 4th.). IDF general in bombshell speech: Israel today shows signs of 1930's Germany. JPOST. Accessed in (April 15th. 2017).

51. تولياتي، باليرو. (1981). **محاضرات في الفاشيّة**. (ترجمة صيداوي أنطوان). بيروت: دار الفارابي. ص 45.

52. سيچف، توم. (2005). 1967 **وغيّرت الأرض وجهها**. تل أبيب: كيتر. (بالعبريّة)

الأحزاب الإسرائيليّة بخوض الحرب، وأنّه لم تكن هناك قرارات من المستوى السياسيّ لا بدخول القدس واحتلال الضفّة الغربية حتّى النهر، ولا بالوصول إلى قناة السويس واحتلال الجولان، كما لم تكن هناك قرارات بدخول قِطاع غزّة، وإنّما التطوّرات الميدانيّة هي التي حدّدت هذا المَنحى.[53] هذه المعطيات، بالإضافة إلى مؤشّرات عدّة برزت في انتفاضة الأقصى (على سبيل المثال: تنفيذ الجيش لاغتيالات واجتياحات محدودة في سبيل إفشال اتّفاق «غزّة وبيت لحم أوّلًا»،[54] تدفعنا إلى الاستنتاج أنّ سيطرة الجيش على القرار السياسيّ هو أمر بنيويّ في كيان دولة إسرائيل التي تعيش على فرضيّة أنّ أمنها مهدّد على الدوام، ممّا يوفّر الذريعة لسيطرة الجيش على المجتمع وهيمنته على القرار السياسيّ.

من الآثار المتوقّعة كذلك أن يتوثّق التحالف بين الجيش والمستوطنين. ثمّة عدّة مؤشّرات تدلّ على هذا، كأقوال قائد المنطقة الجنوبيّة الجنرال دورون أَلْموچ، أثناء اجتماعه بالمستوطنين في مستوطنة «نتساريم» بأنّهم في «مَهَمّة قوميّة».[55] المغزى السياسيّ لعبارة «مَهَمّة قوميّة» يفيد أنّ المستوطنين يقومون بدَوْر طلائعيّ كأسلافهم من المستعمرين الأوائل الذين قَدِموا إلى فلسطين، وهذا يعني توفير غطاء سياسيّ وأمنيّ لدَوْرهم الطلائعيّ. توطيد التحالف بين الطرفَيْن قد يُفضي إلى تمرّد في الجيش في حالة صدور أمر من المستوى السياسيّ بإخلاء المستوطنات، حيث ركّزت المدرسة الدينيّة (مركاز هَراڤ) التي تُعتبر أهمّ مرجعيّة دينيّة بالنسبة للمستوطنين الأوائل في الضفّة الغربيّة على أهمّيّة الأرض، وجرى التشديد على الأرض في الثالوث المقدّس (التوراة /الشعب /الأرض) ومنح كلّ قطعة أرض معنى مقدّسًا.[56] صحيح أنّ تجربة إخلاء مستوطنات غزّة عام 2005 أظهرت انصياعًا من قِبل الجيش للمستوى السياسيّ (لم يسجَّل سوى رفض 63 جنديًّا لتنفيذ الأوامر)، وأنّ الحاخامات دعَوا الشبّان المتديّنين لعدم جرّ «البلاد» إلى حرب أهليّة،[57] إلّا أنّ ذلك لا يعني بالضرورة أنّ رفض المتديّنين لفكرة التمرّد على قرارات المستوى السياسيّ نابع من خشية اندلاع حرب أهليّة؛ فرفض التمرّد قد لا يكون سببه عدم الرغبة في إشعال حرب أهليّة، وإنّما قد يعود سببه إلى عدم القدرة على حسم مثل هذه الحرب إن نشبت بين الطرفَيْن. ليس من المستغرب على الفكر الفاشيّ الذي يحمله المتديّنون الصهيونيّون أن يُفضي إلى تمرّد في الجيش، فبذور مثل هذا السلوك قائمة، وهي بانتظار البيئة الموائمة للنموّ. قد يستبعد البعض ذلك باعتبار أنّ هذا السلوك سيهدم المعبد على مَن فيه، لكن كذلك قلّة الذين توقّعوا قتل رئيس وزراء إسرائيليّ على يد أحد المتديّنين كما حصل مع يتسحاق رابين. ومن الجدير ذكره أنّه على الرغم من محاولات المتديّنين المستمرّة خلال العقود الماضية التغلغل في الجيش، لم ينجحوا حتّى اللحظة في الوصول إلى المستوى القياديّ الأوّل في

53. عرب 48. (2017، 14 آذار). أرشيف 67: التطوّرات الميدانيّة فتحت شهيّة الاحتلال. عرب 48. مستقاة بتاريخ (2014\04\15).
54. بِنْ إليعيزر. مصدر سابق. ص 414.
55. بِنْ إليعيزر. مصدر سابق. ص 298.
56. رَخلڤسكي. مصدر سابق. ص 85.
57. كوهن. (2012). مصدر سابق. ص 353.

الجيش («المَطْكال») إلّا عَبْر ثلاثة ضبّاط فقط (يائير ناڤيه؛ يعكوڤ عميدرور؛ إليعيزر شطيرن)،[58] وهذا لا يؤهّلهم لحسم أيّ صراع داخل الجيش والانقلاب على قرارات المستوى السياسيّ، وبالتالي لا يمكن الجزم بأنّهم إن شكّلوا أغلبيّة قيادة الجيش فلن يلجأوا إلى التمرّد، فحتّى الآن لم يُختبَر مثل هذا الوضع، ممّا يبقي مثل هذا الاحتمال قائمًا.

يسير تديين النخبة السياسيّة في الحياة الحزبيّة الإسرائيليّة بخطى ثابتة، إن لم يكن بدافع مراعاة توجّهات الناخبين الذين يميلون إلى اليمين، فسيكون عبْر السيطرة التدريجيّة للمتديّنين على النخبة السياسيّة. تركيبة النخبة السياسيّة للنظام الإسرائيليّ الاستعماريّ مبنيّة على تقديس القوّة والانبهار بسطوة الجنرالات، وهذا يجعل من السهل على المتديّنين السيطرة على النخبة السياسيّة إن سيطروا على الجيش، حيث يميل الناخب الإسرائيليّ إلى اختيار من يظنّ أنّه قادر على توفير الأمن، وبالتالي تجده ينتخب الأحزاب التي تضمّ في قوائمها أكبر عدد من الجنرالات المتقاعدين. في هذا الصدد، يشير عكيڤا إلدار ـ في بحث أجراه يستند فيه إلى استطلاعين للرأي (أُجرِيَ أحدهما قبل إحدى عمليّات المقاومة والثاني بعدها) ـ أنّ الناخب الإسرائيليّ يتوجّه إلى انتخاب أحزاب اليمين كلّما شعر أنّ أمنه مهدَّد. في البحث نفسه، يَخْلص عكيڤا إلى النتيجة ذاتها عند مقارنته للتوجّهات التصويتيّة في المناطق التي تتعرّض للقصف من صواريخ المقاومة؛ فقد وجد أنّ هذه المناطق بعد قصفها زادت فيها نسبة التصويت لليمين.[59] على ما يبدو، يسود شعور عامّ لدى الناخبين الإسرائيليّين بأنّ اليمين أقدر على حفظ أمنه، وهذا نابع من كون اليمين لا يلقي بالًا للضغوط الدوليّة، ولا يهتمّ كثيرًا بتحسين صورته أمام الرأي العامّ العالميّ، على العكس من أحزاب اليسار، كما هو حاصل في حالة محاربة المقاومة في غزّة التي تعني بالضرورة سقوط شهداء من العزّل والأبرياء البعيدين عن الانخراط في أيّ أعمال قتاليّة، ممّا يعني توجيه انتقاد لإسرائيل على مستوى الرأي العامّ الدوليّ. يشهد النظام الإسرائيلي عملية انتقال إلى نظام فاشيّ فيه سمات ثيوقراطيًّا لا يؤمن بالتعدُّديّة، وهذا يُفضي بالضرورة إلى تقنين العنصريّة (التي هي أصلًا قائمة) ضدّ السكّان الأصليّين عبْر سَنّ المزيد من القوانين والتشريعات، وبالتالي سيَجْري ترسيخ وضع يكون فيه السكّان الأصليّون من العرب الفلسطينيّين رعايا لا مواطنين، ضمن ثنائيّة السيّد والعبد، وسيمتدّ تأثير هذه النزعة الفاشيّة لتطول العلمانيّين الإسرائيليّين أنفسَهم، بحيث يُكْرَهون على اعتماد نمط حياة مخالف لمعتقداتهم عبْر حسم الصراع الهُويّاتيّ لصالح يهوديّة الدولة. الخطورة في تديين النخبة السياسيّة تكمن في المفاهيم والأفكار التي يحملها المتديّنون، فالصراع ـ من وجهة نظرهم ـ مع الفلسطينيّين صراع دينيّ وليس سياسيًّا، كما أنّ الحروب معهم هي حروب دينيّة، وبالتالي يتحوّل الصراع إلى صراع صفريّ. ثمّة شواهد كثيرة على مثل هذا التوجّه، من بينها التصريحات التي تطلقها قيادات الصهيونيّة المتديّنة عقب كلّ مواجهة. صحيح أنّه حتّى الآن لم ينجرّ المستوى السياسيّ خلف هذا التوجّه، إلا أنّه من

58. سدان. مصدر سابق.

59. Eldar, Akiva. (2014, November 26th.). Insecurity strengthens Israeli right. **Al-Monitor**. Accessed in April 15th. 2017.

ناحية أخرى يحاول استرضاءه عبْر التأكيد على هُويّة الدولة اليهوديّة، حتّى بات اعتراف الفلسطينيّين بهذا شرطًا للجلوس لإجراء مفاوضات، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ اليمين الإسرائيليّ لم يكن يومًا مقتنعًا بجدوى المفاوضات وعمليّة السلام، والأرجح أنّه يتّخذ من الاعتراف بيهوديّة الدولة ذريعة لإفشال أيّ احتمال للتوصّل إلى اتّفاق، وفي الوقت نفسه يرضي حلفاءه من المتديّنين.

الخلاصة والاستنتاجات:

حاول الصهيونيّون من التيّار الدينيّ القوميّ السيطرة على الجيش، عبر انتهاج سياسة ممنهَجة وخطوات مدروسة؛ وذلك بعدما تَحَوّل موقفهم من الخدمة العسكريّة تحوّلًا جوهريًّا عقب حرب عام 1967. اعتمد المتديّنون إستراتيجيّة الاختراق من الأسفل إلى الأعلى، لكن محاولاتهم جوبهت بحائطِ صَدٍّ أقامه العلمانيّون يَحُول دون وصول خرّيجي «يشيڤات هَهِسْدِير» إلى المستويات المتقدّمة في الجيش. على الرغم من ذلك، استطاع المتديّنون اختراق هذا الحاجز، متسلّحين بوجود عنصر غير متوافر لدى الضبّاط والجنود العلمانيّين وهو الدافعيّة للقتال، حيث استُخدمت «الدافعيّة» للقتال كأداة لتحقيق «اختراق» الجيش. علاوة على ذلك، جرى الالتفاف على ممانعة العلمانيّين لتمَوْقُعِهم في المستويات القياديّة، وذلك عبْر تأسيس الكلّيّات العسكريّة التمهيديّة التي تضمّ بين خرّيجيها خليطًا من العلمانيّين والمتديّنين، وهو ما يصعّب عمليّة استثنائهم من الانخراط في دورات الضبّاط.

ثمّة جدل بشأن دلالة زيادة الضبّاط المتديّنين في الجيش: هل هو مؤشّر على هزيمة المشروع الثقافيّ للصهيونيّة العلمانيّة، أم هو مؤشّر إلى قدرة الصهيونيّة العلمانيّة على استخدام الدين لتثبيت أركان المشروع الاستعماريّ؟ يميل البعض إلى ترجيح الاحتمال الثاني، مستندين إلى ما جرى عام 2005 من إخلاء لمستوطنات غزّة؛ فعند المحكّ استطاعت القيادة السياسيّة العلمانيّة فرض رأيها عبْر الجيش، ولم يكن هنالك تأثير يُذكر للحاخامات على توجّهات الجيش. على الرغم من ذلك، يبقى الجدل مفتوحًا؛ ففي ظلّ عدم تمكّن الصهيونيّة الدينيّة من السيطرة على قيادة الجيش سيطرةً كاملة، لا يمكن الجزم بشأن ردّة فعل الجيش. المقصود بهذا أنّه يبقى قائمًا احتمال تفضيل قيادة الجيش المتديّنة الانصياع لأوامر الحاخامات إن تعارضت مع أوامر المستوى السياسيّ؛ فهذا الاحتمال لم يُختبَر بعد. هنا يجب الأخذ بعين الاعتبار تأثير وجود قيادات متديّنة في الجيش على صانع القرار في المستوى السياسيّ؛ فوجود التيّار اليمينيّ المتديّن في قمّة قيادة الجيش سيدفع صانع القرار إلى التفكير مليًّا قبل الخوض في أيّ عمليّة تفاوضيّة قد تُفْضي إلى الانسحاب من الأراضي المحتلّة عام 1967؛ فمن المتوقّع أن يتردّد أيّ سياسيّ في اتّخاذ مثل هذه القرار لأنّه بهذا قد يجازف بحدوث انقسام في صفوف الجيش، أو حتّى حدوث عصيان لقرارات المستوى السياسيّ، وهذا يعني تدمير بنْية اتّخاذ القرار داخل إسرائيل وتغيير شكل الدولة.

ثمّة عدّة أسباب لازدياد أعداد المتديّنين في الجيش منها ما هو ثقافيّ ومنها ما هو اقتصاديّ أو

سياسيّ اجتماعيّ. ترتبط هذه الأسباب بعضها ببعض في علاقة جدليّة، ويمكن القول إنّ المحرّك الأساسيّ لهذه الأسباب هو جوهر الحركة الصهيونيّة القائم على فكرة «أرض الميعاد» وَ «شعب الله المختار».

يخشى العلمانيّون من تعاظُم دَوْر المتديّنين في الجيش، ويمكن القول إنّ هذا التخوّف ناجم عن طبيعة المجتمع الإسرائيليّ العسكرتاريّ، المبنيّ على تقديس القوّة والعنف واحترام لابسي البزّة العسكريّة؛ فسيطرة المتديّنين على الجيش تُفضي إلى السيطرة على سائر مؤسّسات الدولة الحيويّة. لا يخفي المتديّنون طموحهم إلى السيطرة على مفاصل الدولة، ويبدو أنّهم قد تأثّروا بنظرة هيـچل للدولة، النظرة التي يرى بحسبها أنّ الدولة الحداثيّة في جوهرها هي شموليّة، تدخل في مسامّ المجتمع والأفراد. وبالتالي من يملك السيطرة على الجيش يملك السيطرة على الدولة، ومن ثَمّ يمكنه حسم توجُّهات المجتمع وهُويّة الدولة.

تجاهلت القيادة الإسرائيليّة تحذير بعض الصهيونيّين من تبعات هَيْمَنة المتديّنين على الجيش، وتأثير ذلك على مستقبل المشروع الاستعماريّ الصهيونيّ. هيمنة المتديّنين على الجيش قد تضمن تماسكًا ظاهريًّا للمشروع الصهيونيّ، لكن على المستوى البعيد ليس من مصلحة الصهيونيّة تديين الصراع وصبغ حروبها مع الفلسطينيّين بصبغة دينيّة؛ فهيمنة التيّار الدينيّ ستُفضي إلى استفحال الفاشيّة في المجتمع الإسرائيليّ، ممّا سيؤدّي إلى تأجيج الصراع داخل المجتمع وخارجه، بل إنّه قد ينقل المعركة من الخارج إلى الداخل، والمقصود بهذا أنّه قد يحوّل المعركة الدائرة بين المستعمِرين والسكّان الأصليّين لتصبح في داخل الكيان الاستعماريّ نفسه بين مكوّناته.